١٨

حُكْمُ القَاتِ

فِي الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

تأليف

علي بن سالم بن يعقوب باوزير

من منشورات المركز العلمي والدعوي بحضرموت غيل باوزير

منشوراتنا تطلب من مكتبة القدس ومركز القمة بغيل باوزير

قام بتفريغها من الشريط أحد طلبته جزاهم الله خيرا

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته . ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ ، ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها . وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً . واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام . إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا . يصلح لكم أعمالكم . ويغفر لكم ذنوبكم . ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾ ... أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة ، وكل ضلالة في النار . أعاذني الله وإياكم من عذاب النار .

أيها الإخوة الكرام : لقاؤنا هذا [1] جعلناه في موضوع مهم يخص بلدنا، ويعني شعبنا ، وقبل أن ندخل في هذا الموضوع ، أحب أن أقدم بين يديه مقدمة ، حتى تتضح الأمور ، وحتى يتبين لكم الحكم بالفطرة ، التي فطر الله الناس عليها ، قبل أن تعرفوا كلام العلماء في ذلك .

[1] أصل هذا اللقاء محاضرة ألقيت بمسجد (باهارون) ، ثم فرغت وروجعت ونقحت وطبعت ليعم الانتفاع بها

فإن مما لا يخفى عليكم أن الشريعة الإسلامية جاءت بحفظ ضرورات خمس ، لا قوام للناس بدونها ، ولا سعادة لهم إلا بها ، ولأجل ذلك وضعت جميع الاحتياطات حفاظا عليها ، واهتماما بشأنها . هذه الضرورات هي :

أولا : الدين ، ثانياً: النفس ، ثالثاً : العقل ، رابعاً : العرض ، خامساً: المال . هذه هي الضرورات الخمس ، التي جاءت الشريعة الإسلامية بحفظها والعناية بها ، وتحريم انتهاكها ، والتفريط فيها .

ومن المتفق عليه أيضا أن الشريعة الإسلامية جاءت بجلب المصالح وتكثيرها ، ودرء المفاسد وتقليلها بقدر الإمكان ، فجميع الأحكام في ديننا الإسلامي مبنية على هذا الأصل العظيم ، وهو جلب المصالح . إذا كانت المصالح مفقودة . وتكثيرها . إذا كانت المصالح موجودة . ، وجاءت أيضا بدرء المفاسد بقدر الإمكان ، فلا تفعل المفسدة إن أمكن ، ولو قدر أن يؤتى شيء منها اضطراراً فتقليلها بقدر الإمكان ، فالمفاسد تدرأ كلها إن أمكن الدرء كاملا ، وإن لم يمكن بأن كان لابد من فعل إحدى المفسدتين فترتكب الدنيا وتدرأ وتدفع العليا ، كما حصل في قصة الخضر مع نبي الله موسى عليه السلام في خرقه السفينة ونحو ذلك .

ومن المعلوم . أيضا . أننا مسؤولون عن أنفسنا ، وعن أموالنا ، وعن عقولنا ، وعن أزواجنا ، وعن أولادنا ، يسألنا الله تبارك وتعالى عن ذلك كله، كما قال تعالى : ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ ، وقال : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ ، فهذا قسم من الله تعالى ، فوربك يا محمد يا رسول الله لنسألنهم أجمعين ، لا واحدا دون آخر ، بل كلهم سيسألون، عن ماذا؟ عما كانوا يعملون ، ولهذا قال النبي ﷺ : (لا تزول قدما عبد يوم

القيامة حتى يسأل عن أربع) ، رواه الترمذي [صحيح الجامع] ، فقبل أن تتحرك قدمك خطوة واحدة ، قف مكانك ولا تتحرك ، حتى تسأل عن هذه الأربع ، وهي أولاً : (عن عمره فيم أفناه ؟) ، في أي شيء أفنيت عمرك يا عبد الله ؟ كما قال تعالى ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق ﴾ .

ثانياً : (عن شبابه فيم أبلاه ؟) ، أي في أي شيء صرفه وضيَّعه وأمضاه ، وإنما خصَّ الشباب ، بعد دخوله في العمر ، لأن الشباب محل القوة والنشاط والهمة العالية ، فإذا عمَّرتَ في حال الشباب ـ مثلا ـ عشرين سنة أو نحوها ، فإنك تسأل عنها أين ذهبت بها ، وفيم صرفتها ؟ ستقول ماذا ؟ قضيتها يا رب أمام شاشات التلفاز ، قضيتها في مشاهدة المباريات، أو على طاولات لعب الورقة ، أو الضمنة والشطرنج، أو الكيرم والبلياردو. أين قضيتها ؟ في اللهو واللعب والحرام ، أو في الطاعة والعبادة والحلال . فإنك مسؤول عن ذلك .

وثالثا : تسأل (عن علمك ماذا عملت به ؟) فالعلم مِنة من الله جل وعلا ، يمن به على من يشاء من عباده ، وبهذا العلم ميز الله الإنسان عن البهائم والوحوش والدواب ، فالعلم منة عظيمة ، وفضل كبير، كما قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ فتسأل يوم القيامة عن هذا العلم ماذا عملت به ؟ أنت تسمع المواعظ ، وتسمع الخطب ، وتسمع الدروس ، وتسمع المحاضرات ، وتقرأ الكتب ، تطلع على هذه الأمور ، فقد قامت عليك الحجة الإلهية ، فأين ستذهب في ذلك اليوم ؟ عِلْمُك ماذا عملت به ؟ سمعتَ أن هذا حرام ، وهذا لا يجوز ، وهذا منكر ،

وهذا خبيث ، وهذا لا يحل ، سمعت ذلك كله . فماذا عملت بهذا العلم ؟ هل ستكون مثل اليهود الذين علموا الحق ولم يعملوا به ؟ ولذلك غضب الله عليهم ، ولعنهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت ، هل ستكون مثل هؤلاء ؟ علم بلا عمل ، تسمع ولا تعمل ، ﴿ كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ ، هؤلاء هم الدواب الذي قال الله فيهم : ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون . ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ .

ستكون مثل هؤلاء الذين إذا قيل لهم : اسمعوا . قالوا : ﴿ سمعنا وعصينا ﴾ ، ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾، ﴿ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا ﴾ .

وأخيراً يسأل (عن ماله)، ويسأل عنه من جهتين : من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه ؟ مِن أين أتيت به يا عبد الله ، من الربا ، من الرشوة ، من السرقة ، من الغش والخداع ، من بيع المحرمات ، من أين أتيت به ؟ من الزنا أو من اللواط ؟ أو من بيع الخمر والمخدرات ؟ من أين اكتسبته من الحلال أو من الحرام ؟

ثم فيم أنفقته ؟ أفي الحلال أم في الحرام ؟ كإنفاقه في الخمر والمخدرات ، أو في الزنا واللواط ، أو في الدخان والقات ؟ تسأل عن ذلك كله ، ولا تظن أن الأمور سهلة ، وأنها فالتة . بل كل ذلك محصى ومحفوظ ، تسأل عنه بين يدي الله تعالى .

هذا الأمور لابد أن تتقرر في أذهاننا ، أولاً : كون الشريعة الإسلامية جاءت بحفظ ضرورات خمس ، وثانيا : أنها جاءت بجلب المصالح وتكثيرها ودرء المفاسد وتقليلها ، وثالثا : أننا مسؤولون أمام الله تبارك وتعالى عما أنعم به علينا من النعم الكثيرة ، والتي هي محيطة بنا من جميع الجهات ، نِعم لا تُعد ولا تحصى ، كما قال تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾، وقال : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾، وقال : ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ ، هذه النعم نُسأل عنها يوم القيامة ، هل قمنا بشكرها ؟ أو لم نقم بذلك ؟

وأيضا من الأمور التي ينبغي أن نعلمها وهي محل اتفاق بين العلماء أنه [لا ضَرر ولا ضِرار] ، ومعنى هذا أن الشريعة الإسلامية جاءت بنفي الضَرر ونفي الضِّرار ، فالضَرر على النفس ، والضِّرار على الغير ، أي الإضرار بالغير ، فلا يجوز لك أن تضر بنفسك ، كما لا يجوز لك أن تلحق الضرر بغيرك .

فهذه الأمور نقررها بين موضوعنا هذا ، توطئةً له ، وتمهيداً لمعرفة حكمه الشرعي ، والاطمئنان له .

ثم نشرع الآن في موضوعنا وهو [موضوع القات] ، هذه الشجرة التي ابتلي بها الشعب اليمني ، وعمَّت به البلوى ، حتى أكلها الصغير والكبير ، والغني والفقير ، والرجل والمرأة ، والشريف والوضيع ، ﴿ إلا من رحم ربك ﴾، ممن سلمهم الله تعالى من هذه المصيبة ، وهذه البلية ، وإنني على شبه يقين بأنكم لستم من المخزنين ، فكلكم بفضل الله تعالى ـ على ما أظن ـ لستم من أهل التخزين ، وعلى هذا فالنصيحة هذه حقها أن تكون لهؤلاء

المبتلَين بهذه المصيبة ، فهم أحق الناس بها ، حتى ينتبهوا وحتى يستيقظوا ، وحتى يعرفوا حكم الله تبارك وتعالى في هذا الأمر ، قبل فوات الأوان ، قبل ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ﴾ ، ولكن ماذا نفعل ؟ هم في إعراضٍ عن حضور مجالس الذكر ، لا يريدون أن يحضروا مثل هذه المجالس ليذَّكروا ، ولكن بفضل الله تعالى قد عُمِّمَتْ خطبة الجمعة هذا اليوم في موضوع القات على مساجد بلادنا ، وقد سمعها المخزنون ، إلا من كُتِب عليه الشقاء والبؤس، ممن هجَر الجُمع أيضا ، وهذه مصيبة كبيرة على مصيبة عظيمة ، فهو في غيه وسكرته عياذاً بالله .

فموضوع حديثنا . الذي قدمنا بين يديه هذه المقدمة . هو موضوع [القات] ، ولا ظن أنني أتمكن من استيعاب هذا الموضوع ، استيعابا تاماً فضلاً عن الخروج عنه للحديث عن المخدرات عموما ، كما أعلن عنه ، ولكن لعل الله أن ييسر لنا لقاءً آخر في هذا الموضوع .

أيها الإخوة الكرام : قبل أن نتكلم عن حكم القات أولاً : لننظر في آثار هذه الشجرة ، لننظر في هذه الآثار ، ماذا ينتج عن أكل القات ، ثم ننظر بعد ذلك ، هل يقر هذه الآثار عقل ، وهل يبيحها شرع أوْلاَ ؟ فإذا بيَّنا آثار أكلها ، سيتبين لكم الحكم بداهة ، ولا يحتاج أن تعرفوا أن الإمام الفلاني ، أو العلامة الفلاني ، أو فضيلة الشيخ الفلاني قال : بأن حكمه كذا أو كذا ، لأن هذا الأمر لا يخفى على عاقل ، فضلاً عن طالب علم، فضلاً عن عالم .

إن هي الشجرة فيها أضرار عظيمة ، وتترتب عليها مفاسد كبيرة ، نحصرها في أمور أربعة : أضرار اجتماعية ، وأضرار اقتصادية ، وأضرار صحية ، وأضرار دينية ، وهي أعظمها وأخطرها .

[الأضرار الاجتماعية]

أما الأضرار الاجتماعية : فلا تسل عن المشاكل الحاصلة في البيوت بسبب تناول هذه الشجرة ، فكم من أسر تفككت، وكم من علاقات تشوشت، وكم من حقوق أهدرت ، وكم من المصائب والبلايا في البيوت حصلت ، وهذا أمر ملاحظ في كثير من بيوت المخزنين ، فكم هي حالات الطلاق ؟ وكم تشرد وتشتت من الأولاد ؟ بسبب انشغال الأب ، وعدم مبالاته برعاية أولاده. مع أنه مسؤول عن تربيتهم والعناية بهم، كما قال النبي ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) متفق عليه ، ومعنى (مسؤول) أي : يسأله الله تعالى يوم القيامة إذا وقف بين يديه عن حقوق الزوجة وحقوق الأولاد ، أين حقوق هذا وأين حقوق ذاك ؟ أين ضيعتها يا عبدالله ؟

فكم هي المشاكل التي حصلت في البيوت بسبب أكل هذه الشجرة ، حتى وصل ببعضهم أن يبيع ذهب زوجته ؟ أو متاع بيته ، أو يرهن بيته ! أو يقصر في نفقة أهله وأولاده ، من أجل ماذا ؟ من أجل القات ، فضاعت الأسر وتفككت ، وتسيبت الذرية وتشردت ، بسبب هذه المصيبة التي ابتلي بها بعض الناس هداهم الله .

[الأضرار الاقتصادية]

وأما الأضرار الاقتصادية التي حلت بهذه الأمة . بسبب هذه الشجرة الخبيثة . فلا تسل عنها أيضا ، لأن أمرها ظاهر ، وهي واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار . وهي أضرار ثلاثة : في المال والوقت والماء . فهذه أمور ثلاثة . أولها : المال . وثانيها : الوقت . وثالثها : الماء .

(الأضرار المالية)

أما المال : فلو قدَّرنا أن الشخص يحتاج في التخزينة الواحدة في اليوم إلى ثلاثمائة ريال فقط ، وهي مختلفة فقد تبلغ إلى الألف أو أكثر ، فإذا قدرنا أنه يحتاج في التخزينة الواحدة إلى ثلاثمائة ريال ، وعدد الشعب اليمني يبلغ الآن نحو عشرين مليوناً ، فلو قدرنا أن الذين يخزنون منهم على أقل الأحوال خمسة ملايين ، فخمسة ملايين في ثلاثمائة تكون النتيجة ملياراً وخمسمائة مليون ريال يمني يومياً ، لا سنويا ولا شهريا بل يوميا ! في اليوم الواحد يصرف هذا المبلغ الهائل في شجرة القات ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لو صرف هذا المال في كفالة أيتام ، أو في النفقة على الأرامل والفقراء والمساكين ، أو على المحتاجين من المرضى ونحوهم ، كيف لو بني بهذا المبلغ مدارس ومستشفيات ومصانع، أو أنشئت به آبار، أو أصلحت به الطرقات ، ونحو ذلك . أليس هذا مكسبا عظيما ؟

كيف لو صرف هذا المبلغ لإخواننا المجاهدين في فلسطين أو في إفغانستان أو في العراق أو في غيرها من البلاد الإسلامية ، التي لا يجدون فيها المأوى ولا الملبس ولا لقمة العيش ، كيف تكون النتيجة ـ بالله عليكم ـ أليست النتيجة تكون ربحاً عظيماً ، ينهض باقتصاد الأمة ؟

كيف لو صرفت هذه المبالغ العظيمة في تقوية الجيوش، وإعداد العدة بالأسلحة والإمكانيات الحربية، استعدادا للعدو ؟ ألا يرفع من اقتصاد البلاد؟

كيف لو أنفقت هذه المبالغ في إنشاء المزارع وعمارة الأرض بزراعة الحبوب والثمار والفواكه الطيبة المباركة ، ألا ينهض ذلك باقتصاد البلاد ؟ لاشك أن ذلك يكون له أثر عظيم في النهضة باقتصاد هذه البلاد .

(أضرار الوقت)

وأما الوقت : فلو جعلنا للمخزن ـ على أقل تقدير ـ ثلاث ساعات في اليوم لهذه التخزينة ، فثلاث ساعات في خمسة مليون ، تكون النتيجة خمسة عشر مليون ساعة في اليوم !! خمسة عشر مليون ساعة في اليوم يا أمة محمد !! تذهب هدراً ، خمسة عشر مليون في اليوم الواحد ، لا في السنة ، ولا في الشهر ، ولا في الأسبوع ! بالله عليكم كيف لو استغلت هذه الساعات في أعمال صالحة ، ومشاريع طيبة ، ماذا يحصل ؟! ماذا تكون النتيجة ؟ أليست هذه مقاييس خيالية ؟ بلى ولكنَّ الناس لا يتفطنون لها ، لأنَّ كل شخص يفكر في نفسه ، يقول : وماذا عسى أن تكون ثلاث ساعات؟ وماذا عسى أن تكون ثلاثمائة ريال ؟! حتى لو فكر الشخص في نفسه فقط أليس شهره بتسعة آلاف ؟ أليست هذه بلية ومصيبة ، فكيف لو فكَّر في عموم الأمة ، كم تكون النتيجة ؟ أعداداً هائلة ، ومقاييس خيالية .

(أضرار الماء)

أما الماء : والذي هو أساس الحياة ، فلا تسل عن المياه الهائلة العظيمة التي تصرف في زراعة هذه الشجرة الخبيثة ، فأن نحو ثمانين مليون متر مكعب سنوياً تصرف في شجرة القات ، تسقى بهذه المياه التي عليها قوام حياتنا ، انظر إلى هذه النسبة العظيمة ، فإن عشرين بالمائة من المياه تذهب للشرب ، وعشرين بالمائة أخرى تذهب في الزراعة ، وتبقى ستون في المائة كلها تذهب للقات ، نسبة هائلة سبحان الله !! .

ولهذا بلادنا مهددة بالجفاف ، بسبب هذه الكميات الهائلة التي تذهب هدراً ، لا ، بل تذهب في زراعة هذه الشجرة التي تعود بالضرر على الفرد

والمجتمع .

[الأضرار الصحية]

هذه الناحية الاقتصادية ، فلننظر إلى الناحية الصحية البدنية : ماذا يؤثر القات في صحة الإنسان ؟ إن هذه الشجرة لهي سبب رئيسي في حصول كثير من أمراض السرطان ، كيف ذلك ؟ هذه الشجرة يرش عليها نحو ثلاثمائة نوع من أنواع المبيدات الحشرية الكيماوية ، لأجل وقايتها من الحشرات ، ولأجل أن تظهر بمظهر حسن جذاب ، فترش عليها هذه الكميات الهائلة من المواد الكيماوية السامة ، التي تشكل خطرا على جسم الإنسان ، وتسبب إمراضا كثيرة وكثيرة .

منها : مرض السرطان ، كما شهد بذلك أهل الاختصاص ، ولهذا يمنعونهم من قطعها قبل مدة معينة ، فيمنعون قطعها قبل عشرين يوما من رشها بهذه المبيدات ، حتى يذهب ما بها من سموم ، ومع هذا فبعضهم يتعجل قطفها وقطعها لأجل الربح العاجل ، يتعجلون قطفها لأجل الأموال التي يحصلون عليها ، ولا يهتمون بهذه الأمة التي يبيدونها ، ويعرضونها للتلف ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، أمة كاملة يقتلونها ويعرضونها للهلاك، يعرِّضونها للأمراض الخطيرة ، على حساب من هذا ؟

وأمراض أخرى كثيرة ، كأمراض المعدة ، والقولون ، والإمساك المزمن، الذي يؤدي بعد ذلك إلى البواسير، ومن ذلك : سلس البول (الودي)، فيبقى دائماً في نزول ، ومن ذلك : أمراض اللثة ، وتساقط الأضراس والأسنان ، ومن ذلك أيضا : شدُّ الجهاز العصبي ، فإن المخزن يبقى مشدوداً منتبهاً ،

ولهذا تجدون الذي يخزن عينية منفتحتين بشدة، والحدقة أيضا مفتوحة ومتسعة ، وكأنه داخل في حرب مع العدو !! سبحان الله ! ومع هذا الشد العصبي تسرع نبضات القلب، ويبقى الشخص متوترا، ومن ذلك أيضا : ضعف الجسم ، وضعف النسل .

وزد على ذلك : الهموم والغموم ، التي تنتج بعد الفراغ من التخزين ، حتى إن بعضهم ليلعنه لعناً شديداً ، ويلعن صاحب القات ، ويلعن من زرعه ومن أتى به !! بسبب ماذا ؟ كل ذلك لأنه ينشط نفسه مدة من الزمن بتكلف فوق طاقة الجسم الطبيعية ، ولهذا يعقبه من الهم والغم ما الله به عليم .

المهم آفات وبلايا ومصائب متكاثرة من هذه الشجرة ، وما هذه إلا بعض الآثار التي تدل على أضرار القات على بدن الإنسان وصحته ، والتي هي أمانة عنده ليس له أن يتصرف فيها إلا بما يرضي الله .

ويخطئ بعض الناس حين يقول : هذا جسمي ، وهذه صحتي ، وهذا فمي ، وهذه أضراسي ، وهذه فلوسي ، أنا حر ، فنقول له : لست حراً في ذلك ، بل جسدك وصحتك ومالك أمانة عندك ، تسأل عنها يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾. وقال النبي ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن علمه ما ذا عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه) رواه الترمذي [صحيح الجامع].

هذا وقد حرم الله تعالى تعريض النفوس للتلف والهلاك فقال تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ . وقد حرم الله على عباده إضاعة المال .

(القات من المخدِّرات والمفتِّرات)

هذا وقد أثبتت التجارب والبحوث العلمية الطبية " أن هذه الشجرة تحتوي على مواد مخدرة ، فهي إذا من المخدرات ، وإن كان تخديرها لا يصل إلى درجة الهروين أو الحشيش أو الأفيون ونحوها من أنواع المخدرات ، لأنها مراتب ، بعضها فوق بعض ، وقد أثبتت منظمة الصحة العالمية ، وقررت في أبحاثها التي استمرت نحو ست سنوات أن هذه الشجرة معدودة من ضمن المواد المخدرة ، وعقوبتها في بعض البلاد عقوبة المخدرات ، وهي الإعدام موتاً . وتحريم المخدرات والمسكرات معلوم من الدين ، بل والمفترات أيضا كما في حديث : (نهى النبي ﷺ عن كل مسكر ومفتر) رواه أبو داود [صحيح الجامع] .

[الأضرار الدينية]

وأما الأضرار الدينية : وهي أعظمها وأخطرها فهي كثيرة وكثيرة ، وكفى بها وحدها سبباً في تحريمها ومنعها ، والتشديد فيها ، والأخذ على أيدي أهلها ، فإن الدين أغلى شيء عند الإنسان ، فإذا ضاع الدين ضاع الإنسان في الدنيا والآخرة .

فيا تُرى ما هي هذه الأضرار الدينية المترتبة على أكل هذه الشجرة الخبيثة ؟

أولاً : من مظاهر أكلها ترك الصلاة ، فإن ترك الصلاة سمة ظاهرة فيمن ابتلى بأكل هذه الشجرة ، فمنهم من يتركها كلياً ، فلا يصلي أبدا ، وقد قال النبي ﷺ : (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) رواه أحمد والترمذي والنسائي [صحيح الجامع] وقال ﷺ : (بين الرجل وبين

الكفر والشرك ترك الصلاة) روا مسلم ، وقال ﷺ : (من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله) رواه البخاري،هذه صلاة العصر فقط ، فكيف بها إذا تركت مع غيرها من الصلوات ؟

وبعضهم يجمع جمعَ تخزين ، فربُّما يصلي أحدهم الصلوات الخمس جمعاً ، يصلي الفجر ، ومباشرة يصلي معها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ومنهم وهم كثير من يجمعون الظهر مع العصر ، أو يجمع المغرب مع العشاء ، وأقلُّهم حالاً من يصلي كل صلاة في وقتها ، ولكنه يضيع الصلاة في المسجد ، فيصليها وحده ، وهذا أحسنهم حالا ، ولكنه نادر جدا ، وإلا فبالله عليكم من الذي سيدخل في فمه ثلاثمائة ريال ويسمع المؤذن قائلا : الله أكبر ، الله أكبر ، فيخرج هذه التخزينة من فمه ليذهب فيصلي ، ويفسد هذه التخزينة، ويضيع هذه التكييفة ؟ فإن هذا أمر بعيد .

فمن أعظم مظاهر مفاسد القات الدينية ترك الصلاة ، وهي المصيبة العظمى ، وهي أخطر من المفاسد والمضار الاقتصادية ، والاجتماعية ، والصحية ، فأخطرها قضية الدين لأن الشخص إذا مات مريضاً وهو على دين مستقيم ما ضره ذلك شيئا عند الله عز وجل ، لكن إذا مات بلا دين ، ولو جاء بجثة مثل الفيل ، فإنها لا تنفعه شيئا عند الله تعالى ، ولهذا أخبر النبي ﷺ : (أنه يؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة ، فلا يزن عند الله جناح بعوضه) ، وتلا قوله تعالى : ﴿ فلا نقيم له يوم القيامة وزنا ﴾ رواه البخاري ، فليست العبرة بالجثة الضخمة ، وإنما العبرة بالدين ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ . فقضية تضييع الصلاة هي أخطرها ، ولو لم تكن في هذه الشجرة إلا هذه المفسدة لكفى بها دليلاً على

تحريمها ومنعها ، والزجر عنها ، والتأديب عليها ، ولكنَّ هناك مضارَّ أخرى وأخرى .

وبسبب أكل القات حصلت كثير من المعاصي والمفاسد أيضا غير ما تقدم ذكره ، مثل : القتل ، والسرقة ، والغش ، والخداع ، والكذب ، والاحتيال على الأموال ، وأخذ الرشوة ، التي صارت مظهراً جذاباً في مجتمعنا. الرشوة! وما أدراك ما الرشوة ؟ والتي تسمي بحق القات ، التي انتشرت والعياذ بالله في مجتمعنا انتشار النار في الهشيم ، فقلما تستطيع أن تنجز معاملة بسلام وأمان ، وإلا وفوقها (أدِّ حق القات) ، انظر إلى هذه المصيبة ، فإن الرشوة أمرها خطير ، وهي سحت وأكل لأموال الناس بالباطل .

وكذا السرقة والقتل ، لأنه يريد مالاً ، فإذا لم يجد شيئا سرق ، فإذا كُشِف قتَل وهرَب ، كلُّ هذا من شؤم السيئة ، فإن السيئة تجرُّ إلى سيئة أخرى ، فالصغيرة تجر إلى كبيرة ، والكبيرة تجر إلى الكفر بالله جل وعلا، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ ، أي كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير الحق ﴿ ذلك ﴾ أي هذا المشار إليه وقع ﴿ بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ فالباء للسببية ، و(ما) ها هنا مصدرية ، أي بسبب عصيانهم ، وبسبب اعتدائهم على حرمات الله جل وعلا وقعوا فيما هو أعظم ، فدلت هذه الآية على ما قرره العلماء من أن المعاصي بريد الكفر ، أي طريق موصل إليه ، فمن شؤم المعصية وقبحها أنها تجر إلى معصية أخرى ، كما أن الحسنة من بركتها أنها تعقبها حسنة بعدها .

ومن ذلك أيضا انتشار غيرها من المعاصي كالغش والكذب ، بل والزنا

أيضا واللواط ، لأن غالب الشعب من ذوي الدخل المحدود الذي لا يفيء بالحاجة . فربما يؤدي هذا أيضا إلى انحراف السلوك ، والوقوع في مستنقعات الفاحشة والرذيلة .

ومن المعاصي أيضا انتشار الغيبة والنميمة ، فتجد هذا المخزن وقد فتح عينيه بشدة ! يجلس يفري في لحوم الناس ، وينهش في أعراضهم ، فهذا شغله الشاغل في الغالب ، يفري في أعراض المسلمين ، ويتكلم فيهم تارة بما هو فيهم وهو غيبة ، وتارة بما ليس فيهم وهو بهتان ، وهي مصيبة كبيرة على مصيبة عظيمة .

ومن أضراره الدينية أيضا ما يصحبه في كثير من الأحيان من تناول بعض الحبوب المنشطة ، أو الأشربة المسكرة ، التي تزيد الطين بلة ، فيتناولها مع هذه الشجرة ، حتى تزيد في مفعولها ، وهذا معروف عندهم، كحبوب (الفاليوم) ونحوها ، فتزيد من تخديره وإسكاره .

ومن ذلك أيضا ما يفعله بعض الناس فإنه لا يكيِّف إلا على النظر الحرام ، فتجده إذا خزن لا يروق له التخزين إلا على مشاهدة الأفلام الخليعة ، والمسلسلات الفاضحة ، التي تدعو إلي الفاحشة والرذيلة ، بلا حياء ولا خجل ، وهكذا شيء موجود ، حتى إن امرأة اتصلت عليَّ قبل أيام قليلة تشتكي من زوجها ، والعَبرة في حلقها ، وتستشيرني هل أذهب إلى بيت أهلي ، وأطلب الطلاق ، وعندي أولاد منه أو لا ؟ ، تقول : إذا دخلت عليه وجدته يشغِّل أفلام السِكس والعياذ بالله ، فإذا خزن ذهب إلى عالم آخر ، ولا يروق له المجلس والتخزين إلا بمشاهدة هذه الفاحشة ، وتلك الرذيلة علنا ، عياذا بالله ، ويزداد الأمر سوءًا إذا كان ذلك بحضرة أهله

وأولاده ذكوراً أو إناثا . ثم ما ذا تتوقعون أن يحدث بعد ذلك ، فإذا كانت الزوجة تشاهد ذلك وغالبا يكون مقصرا في معاشرتها! كيف تكون النتيجة؟ والأولاد الشباب ذكورا وإناثا إذا شاهدوا ذلك كيف تكون النتيجة ؟!

فيجب علينا أن نراجع أنفسنا ، كل هذه المصائب ، وكل هذه الكوارث نتيجة أكل هذه الشجرة الخبيثة ، إذن فلا غرابة أن نسمع العلماء ، وأن نسمع الدعاة ، والواعظين ، يحذرون من هذه الشجرة ، ويقولون : بتحريمها ، لا غرابة في ذلك ! لأن هذا أمر آثاره مشهورة ، ومفاسده وأضراره يكاد يدركها كل أحد ، ولهذا أفتى جماعة من الأئمة والعلماء قديما وحديثا بتحريم أكل هذه الشجرة ، وبتحريم التعامل فيها بالبيع والشراء ، أو التعاون على نقلها ونحو ذلك ، فكل ذلك محرم ولا يجوز ، لقوله تعالى : ﴿ يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ ، وقول النبي ﷺ : (لا ضرر ولا ضرار) رواه أحمد وابن ماجه [صحيح لجامع] ، فالضرر منتف في هذه الشريعة الإسلامية ، اللازم منه والمتعدي ، على النفس أو الغير .

ولهذا أفتى كثير من العلماء بتحريمها كالعلامة ابن حجر الهيتمي ، والعلامة حافظ الحكمي ، والشيخ محمد بن سالم البيحاني ، وكذلك الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ، والشيخ ابن باز، رحمهم الله تعالى جميعا ، وكذلك غيرهم كثير وكثير من العلماء والأئمة سلفاً وخلفاً، يقولون : بتحريم أكل هذه الشجرة ، والتعامل فيها بيعاً وشراْءً والتعاون عليها ، بل ترويجها والاتجار فيها ضرره أعظم ، وخطره أكبر ، فيكون إثمه أجل ، لأنه لا يضر نفسه فقط ، بل يجر الويلات والمصائب والبلايا والآفات

على أمة برمتها ، وجماعة بكاملها ، ومن دعا إلى ضلالة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا، والدال على الشر كفاعله . وقد نهى سبحانه وتعالى عباده عن التعاون على الإثم والعدوان ، فقال جل وعلا : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

فهذه نبذة مختصرة عن هذه الشجرة ، التي ابتلينا بها في مجتمعنا هذا، فمن كان قد ابتلي بها وجب عليه أن يتدارك الأمر، بالتوبة النصوح، وفتح ورقة بيضاء جديدة من حياته يستأنفها بالجد والاجتهاد ، والإحساس بالمسؤولية ، والقيام بالواجب ، بإعطاء كل ذي حق حقه ، وأما من عافاه الله منها فليحمد الله تعالى ، وليجتهد في الدعوة والنصيحة والإرشاد بالرفق واللين ، فإن النصيحة هي الدين ، لا من الدين ، بل هي الدين كله، كما قال النبي ﷺ : (الدين النصيحة) روا مسلم .

فيجب علينا أن نقوم بالنصيحة ، لمن ابتلاهم الله تعالى بهذه الشجرة الخبيثة ، لاسيما من علمنا أنه من الذين يروجونها بالبيع ونحوه من الوسائل ، فهي مسؤولية على عواتقنا جميعاً ، لا على زيد أو عمرو من الناس ، بل عموماً لقول النبي ﷺ : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم . ومن كان مبتلى بهذه الشجرة عليه أن يسارع بالتوبة إلى الله جل وعلا ، من الآن قبل أن يفجأه الموت ، ويندم حين لا ينفع الندم ، فيشرع في توبة نصوح ، والله تعالى قد وعد عباده أنه يغفر لهم الذنوب

جميعا مهما بلغت ، بل بفضله وإحسانه يبدل السيئات إلى حسنات ، أرأيت هذه السنين التي خزنت فيها ، أرأيت كل هذه الأموال الذي أضعتها وأهلكتها وأنفقتها في القات ، أرأيت الأوقات التي صرفتها ، أرأيت ما أفسدته من أهلك وأولادك ، أرأيت ما اقترفته بسببها من معاص وذنوب ؟

كل ذلك بتوبة نصوح يبدله ربك الكريم بحسنات، فما أعظم هذا الرب ! وما أكرم هذا الرب ! وما أجود هذا الرب ! ومصداق ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ولاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴾ عذاب الكفر ، وعذاب القتل ، وعذاب الزنا ، وهكذا عذاب القات وبقية المعاصي ﴿ إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ ، ولهذا ثبت في الصحيح أن الرجل يأتي يوم القيامة يبحث عن كبائر ذنوبه التي تاب منها ، ليبدلها ربه له بحسنات .

فنسأل الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يمن علينا وعليكم بتوبة نصوح ، وأن يغفر لنا ولكم الذنوب ، ويستر علينا وعليكم العيوب ، وأن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه ، وأن يوفق بلدنا حكومة وشعبا الى نبذ هذه الشجرة والاستعاضة عنها بما هو مفيد للفرد والمجتمع ، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .